

فكرة للنقاش

السودان: التخلي عن سيادة محدودة من أجل التنمية؟

أسهمت متلازمة التغير المناخي والتطور غير المتوازن في السودان إلى تصاعد الإحساس بالغبن التنموي الذي عبّر عن نفسه في شكل انفجارات سياسية واجتماعية وأمنية.

تغييرات المناخ

شهدت العقود الثلاثة الماضية في السودان تطورات خارج السياق المألوف والطبيعي، خاصة في الفترة 1984–2014، مثل كارثة السيول والفيضانات الأشهر في تاريخ السودان في العام 1988، إذ بلغت معدلات الأمطار التي هطلت على الخرطوم في ليلة واحدة 210 مليمترا، أي بما يفوق المعدل السنوي العادي بثلاثة وأربعين مليمتراً، وأيضاً عودة مناسيب النيل الى الارتفاع بعد الانحسار المعهود، وتعرض الريف الجنوبي لمدينة أم درمان إلى عودة الحياة إلى المجاري المائية الجافة منذ عقود طويلة، أو تعرض بعض المناطق في «ولاية نهر النيل»، في الشمال، إلى عواصف ترابية بالغة القوة، وصعود الفاصل الداري إلى شمال وادي حلفا، مما جعل كل أرض السودان تحت تأثير الرياح الجنوبية الغربية الرطبة ومن ثم هطول الأمطار على صحراء العنبر وعلى الواحة الغربية الجبلية على البحر الأحمر. ومن خلفا بعد الانحسار المعهود، ذات البعد البيئي المستدام، الزحف الصحراوي الكثيف على الضفة الشرقية لنهر النيل من ولاية نهر النيل وحتى وادي حلفا قرب الحدود مع مصر، بمعدل خمسة كيلومترات سنوياً، الأمر الذي أدى إلى ضمور في النشاط الزراعي وبالتالي تراجع سكاني، ترك المنطقة وتحول إلى الضفة الغربية للنيل.

زيادة التصحر والجفاف اللذان ضربا مناطق في غرب السودان عُرفت أنها مستودع للثروة الحيوانية، أثر سلبياً على المناطق الزراعية، وتلك المتاحة للرعي، وفوق ذلك على الرعاة الرحّل الذين يشكلون نسبة تقل عن 8 في المئة من إجمالي سكان السودان ويملكون ما بين 70 - 80 في المئة من ثروة البلاد الحيوانية التي تقدر بما بين 72 مليوناً إلى 84 مليون رأس من الماشية، كما أنّ التوقعات السائدة تقول إن حجم القطيع يتضاعف كل عشرين عاماً، أي يتوقع له أن يبلغ 208 ملايين بحلول العام 2031، ثم 400 مليون رأس في منتصف هذا القرن، الأمر الذي ينذر بوقوع هذه الثروة الحيوانية بين فكي كمانشة: يجد نفسه محاصراً من جهة الشمال بالصحراء الإحافة جنوباً، ومن جهة الجنوب بالحدود الدولية مع دولة جنوب السودان، مما سيهدد العبء على الغطاء النباتي الموجود ويزيد التوتر والإشتباكات بين الرعاة والمزارعين بسبب الصراع على ما هو متاح من عشب ومياه.

وسيوّدي اندلاع الاضطرابات الأمنية إلى إحجام الاستثمارات الوطنية والأجنبية عن الدخول في هذه المناطق التي تعتبر أقاليم العماش، مما يعزز من تفاقم الفجوة بينها وبين المركز بكل ما يترتب ذلك من تبعات سياسية وأمنية واقتصادية، خاصة أن الصراع السياسي في السودان تمحور خلال العقود الثلاثة المنصرمة حول العلاقة بين المركز والعماش، بسبب الغبن التنموي الذي تشعر به الأقاليم، وأسهم في اشتعال التمرد على السلطة المركزية بمختلف السبل. وهو ما تفاقم بسبب استنقار المركز بعائدات عقد الطفرة النفطية التي شهدها السودان برغم أنّ العماش هو مصدر تلك الثروة!

مؤشرات التنمية البشرية في السودان متواضعة بصورة عامة، وفي أقاليم العماش بصورة أخص، واتجاه «التواضع» إلى تفاقم بسبب مفعول الكماشة ذلك، والصراع المتوقع بين القطاعين الرعوي والزراعي المطري في أقاليم العماش لنحسار المراعي وموارد المياه.. وتداعيات ذلك على الحالة الأمنية، والحروب البقلية التي شهدتها مناطق في ولايات دارفور وكردفان مؤشر على ذلك.

تصحیح المعادلة في مناطق العماش

يرى الدكتور عمر محمد علي، الخبير الاقتصادي والتنموي السوداني الذي عمل في مؤسسات إقليمية، أن التصدي لهذا السيناريو الكارثي يتطلب وضع استراتيجيية قادرة على تصحيح المعادلات وإطلاق قطار التنمية في أقاليم العماش بسرعة تفوق سرعة نظيره في المركز، والقفز فوق الزمن، ويفرض هذا التوجه التعديلات التي تحيط بجهد التنمية في السودان، إضافة إلى وضع البلاد المقعد سياسياً، وشرح التمويل خاصة مع الدين الخارجي الذي يتحمله البلد. ولهذا أقتراح إستراتيجية جريئة تعتمد التركيز على العشاب الجبلية في أقاليم العماش، التي تتمتع بطقس معتدل، مما يعطيها تميزاً في مقابل أراضي السودان السهلية المعروفة

للرباط قلبان يفصل بينهما سور يمتد لعدة كيلومترات لا يزيد عرضه عن خمسين سنتيمتراً وعلوه على أربعة أمتار.. وعمره ألف عام، سور يفصل المدينة الحديثة عن المدينة العتيقة، في السور أبواب تحمل أسماء الاتجاهات والقبائل التي تؤدي إليها، في باطن السوق مدينة قديمة، بها سوق شعبي وممرات ضيقة فيها بازازات ومحلات لبيع الملابس والوجبات ومشروبات الصناعات التقليدية، يخفي السور زحاماً فظلياً في السكن.. وبعد الزحام تظهر قسبة الوداية بين نهر أبي رفراق والمحيط الأطلسي، تقع الرباط القروسطية بين النهر والبحر، تبيض قسبة الوداية على هضبة هي نقطة لقاء النهر والبحر، تجاور المدينة المحيط على امتداد عشرة كيلومترات.

من يقف في شرفة فندق مقابل السور يحصل على المشهد في لقطة واحدة، يرى القسبة والبحر والجسور والقناطر فوق المدينة الحديثة عمارات تتجاوز عشرة طوابق ويمكن الكثير من القنوات الفضائية الإخبارية الموقع الخلاب كخلفية لمراسليها من الرباط. لا يصدق الكثيرون أن يكون المشهد من عاصمة عربية.

يفضل السور تناقض زمني وتناقض معماري، في المدينة القروسطية منازل من طابق أو طابقين على الأكثر بينما نجد في المدينة الحديثة عمارات تتجاوز عشرة طوابق ويمكن منحا رؤية المدينة العتيقة من فوق دفعة واحدة.

يتراقف السور وشوارع الحسن الثاني، وهو البرزخ بين الأضلاع والمعاصرة، فيه تقع نقطة لقاء المدينة القديمة والجديدة، عبور الشارع هو الانتقال من فضاء إلى آخر ومن سعر إلى آخر، يتبدل سعر الأكل على بعد مئة متر، تتعايش الطاعم مع جيوب الموظفين كلما تعقفاو في المدينة القديمة، في الزحام يقل ثمن الوجبات، يأكل الموظفون في الحي القديم ويرجعون لمقاهي الحي الجديد في شارع محمد الخامس والحديث عن الغرب العميق والبعيد بثقة.. وجعل فادح.

يزيد عرض شارع محمد الخامس عن ستين متراً، وهو محاط بطران معماري كولونيالي صار مقفرة، بجانب الشارع برلمان موقر وبنك مبني بالحجر السيمك ومحلة قطار رخامية وفي تحفة معمارية. الرباط مدينة عريقة راكمت منشآت كثيرة، مدينة مصونة، لم تصنع حرباً ولا تفجيرات منذ عشرات السنين، المزيد من العيش نرى في كل مكان ثلاثة عواد مسلحين يتجولون، يحملون على

15 | 1

الأسئلة التي يكمن فيها النقط... الحقيقي، أي الثروة التي لا تنتصب ولا تتراجع قيمتها. سوريا المكتئبة، بدلاً لا تنام: المشترك في مختلف المناطق وبحسب الظروف.

تشظّي الدولة المصرية: قراءة لمسارها منذ «يوليو»، ومحاولة في وصف طابعها الحالي. الساعة في ليبيا معطلة، بطيئة، متأخرة.. وفي الزاوية الحمراء: عن «الكوارث المرحة».

فاطمة المريني «صوت فريد يسمع أصوات كل النساء»، عن الباحثة الراحلة كاريكاتير عن حال العراق اليوم، ومن بين الدونات المختارة واحدة عن «الاطمئنان الشديد»!



راشد دياب - السودان

السودان: رؤى حول آفاق التنمية في أقاليم العماش، وتغطي 379 صفحة) بعملية مسح للعشاب والمرتفعات المقترحة، وتوصلت إلى تحديد بعضها ليكون التركيز عليها، وهي هضبة درديب في شرق السودان بمساحة تبلغ 2750 كيلومتراً مربعاً، تطلها الغيوم والسحب في فصلي الخريف والشتاء كما توجد بها مصادر للمياه الجزرية والموسمية. الهضبة الثانية المقترحة تقع في المنائل في ولاية الجزيرة ووسط السودان، وهي أقل ارتفاعاً لكنها تعلق على سهلي الجزيرة وكثانة، وتمتد على مساحة تقدر بحوالي 5 آلاف كيلومتر مربع، كما أن معدلات هطول الأمطار فيها تتراوح بين 300 – 400 ملليمتر. المنطقة الثالثة هي جبال الانقسنا و ولاية النيل الأزرق في جنوب شرق البلاد، وتقدر مساحتها بحوالي 1300 كيلومتر مربع وارتفاعها نحو

بخطقها الحار بسبب موقعها الداري - القاري، مما يؤثر على الإنتاج بسبب الإجهاد الحراري.

كما تتعزز اقتصادات تلك العشاب لوجود أراض زراعية خصبة في ظهرها، إضافة الى أن معدلات هطول الأمطار فيها أعلى، مما يوفر إمكانية لإنتاج الكثير من المحاصيل، والسماح بالحصول على كميات هائلة من المياه يمكن أن يتم توظيفها بصورة أفضل، خاصة أن معظم العشاب الجبلية في السودان توجد في المناطق التي تحظى بمعدلات عالية لهطول الأمطار تتجاوز 600 ملليمتر وتصل أحياناً إلى ألف ملليمتر، خاصة في قمم الجبال، مثل جبل مرة في دارفور الذي يطلق عليه أحياناً سويسرا أفريقي. قامت الدراسة (تحت عنوان: تغير المناخ والتخطيط الاستراتيجي في

انحطاط السياسة!

ما انحطاط السياسة؟ أن يُغلب السياسيون، أفراداً وأحزاباً، مصالحهم على أي شأن آخر. فقط؟ بل أن تسيطر عليهم بلاذة فكرية وشعورية تحول دون إحساسهم بالواقع، وتدفعهم إلى الإيمعان في ما ألفوه، وتُعزّجهم عن معرفة اللطلاب، وتُطغّي خيالهم السياسي، وتسهل لهم الكذب على غيرهم، والأهم على أنفسهم.. هل للسياسة وجه آخر غير هذا، المعتبر عادياً بل وتعريفياً لها، وسواء وهم أو شعير أو بلاهة.. لا تغفل الثورة المضادة التي أعقبت انتفاضات 2011 في منطقتنا غير تعزيز هذا اليقين المنتشر.

وهو حال العالم كله أو يكاد، وآخر مظاهره صعود اليمين الفرنسي شبه الفاشي إلى رأس الانتخابات الجهوية في دورتها الأولى الأحد الثالث، بما يفوق توقعاتها هي نفسها، وذلك كردّ على الأزمات المعيشية والاجتماعية وعلى الخوف من إرهاب «الآخرين».. نجاح منسلّ من إفلاس الليبراليين واليساريين الذين فقدوا كل مبادرة وكل تصوّر، وراحوا يتنافسون على تطبيق برنامج الفاشيين أنفسهم، ويتبنّون خطابهم، حينما لا يزايدون عليهم.. أو انسجام تسييراس، الرئيس اليوناني «اليساري» جداً، مع إسرائيل التي زارها الأسبوع الفائت ووقع معها اتفاقيات شاملة، وتباهى بـ «المعركة المشتركة ضد الأصولية الإسلامية»، ولم يلتفت بكلمة إلى الشعب الفلسطيني المكافح وحده في ظل اإطباق الرداءة هذا، والذي كان عدد شهدائه قد تجاوز المئة في شهرين.. في الوقت عينه الذي كان الرئيس الفرنسي الاشتراكي يتخترع على ظهر حملة طائرات ترابض قبالته شواطئ سوريا.. في إعادة بائسة («Remake») لا قام به بوش في زمانه، ولكن مع الحفاظ على «الأناقة» الفرنسية، أي بالبلذة الدنية وبلا فإفلات هوييودية مبتذلة خلفه كما فعل صاحبه.

على الرغم من ذلك، شعاعات الضوء موجودة، يجسدها شباب ومن يقوا شباباً رغم السن والتجارب، كخالدة جرّار، المناضلة الفلسطينية والثانية في المجلس التشريعي، التي حُكم عليها من يومين بالسجن في إسرائيل لـ15 شهراً يتهم خلاصتها أنها «ضد الاحتلال»، فرفعت أصفادها ضاحكة؛ أو كزيميلنا الباحث والصحافي المصري اسماعيل الاسكندراني الذي ما زال معتقلاً ويتعرّض لاستجواب، لأن روايته عن الوقائع خالفت رواية السلطة، فيفئذ بصبر التهم الزعناء، ويتعاطف تضامناً مفكرين كبار من العالم معه.. في الواقع، هناك عدد لا يحصى من المقاومين، أفراداً وجماعات، في بلادنا وفي العالم كله، بخصوص فلسطين وبخصوص كل أنواع الظلم الأخرى، بخصوص عالم بات مهدداً فعلاً ووجودياً بسبب السياسات المتّبعة، وهم يحملون الجواب.

نهلة الشهال

قضية

في الأسئلة يكمن النفط

لا أعرف إلى أي مدى يحق لنا - في الخليج - أن نتعجب من عواقب تراجع أسعار النفط، أو بشكل أكثر وضوحاً: من انهيارها، وانهيار تمثلات ورديّة لا مكان لها إلا في أدمغتنا التي أصابتها التخمّة الاستهلاكية، و «البطالة الذهنيّة» والتي، بتعبير إدوارد سعيد، لا تنتهي بنا إلا إلى «تضالّل» في الطموحات الفكرية، وتراجع في الخيال الباحث عن بدائل أمنة ومستدامة.

أثّرانا نختهد ونناضل بحق من أجل تحرير أنفسنا من مقايير شركات النفط الدوليّة وشبكاتها الاحتكاريّة، أم أننا لا نكتفّر لأي فكرة ما دامت آخر قطرة نفط لم تبارح جوف أراضينا؟

السيطرة؟ بدائل كاتقتصاد المعرفة والطاقة البديلة، رغم وفرتها، وهي تُذر استقلال للإنسان، وتحرر من الاستغلال والزهن المركزي.

السنا متوافقين جماعياً، عن قصد أو عن تغافل، أو حتى عن ركون مُفرط لأجل السلامة الشخصية، عن حرق الزمن، وتاجيل مواجهة الأسباب الجذرية لهذه العواقب؟ أيّفي أن نعفي أنفسنا من كل ذلك ببعض فورات عاطفية هنا، وتشنجات كلامية هناك، ونسمح بأن تقوم الفظة ذاتها التي تسببت في الإشكال باقتراح حلول تسطيحية، تُخدر الإهتياج، وتطمئن الجيوب، ثم نركن لذلك وننام. لم العجب، وأسئلة الدولة، والثروة، والفرد لم تكن يوماً مطروحة لا على المستوى الوجودي، ولا المركزي، ولا الضروري في حياتنا؟

● **هذا الفرد:** هل يدرك قيمة وجوده كذات مستقلة يمددورها التفكير، والتفاعل، والقبول، والاعتراض، واتخاذ موقف واضح من الطبقات السلطوية والعصبويات المحيطة به؟

وبالتالي هل الفرد عندنا قادر على، وراغب في التعريف بنفسه كذات مستقلة. ثم هل يستطيع/ يطيق ممارسة استحقاقات رابطة فوق الدم والعرق والنسب والذهب والطلائفة، كرابطة المواطنة؟ هل الجماعة الوطنية لديه تُشكّل قيمة ذات وزن يشعر به، ويراه، ويلمسه، على ميزان المساواة والكفاءة؟ مضاف لذلك كله: سؤال وعي الفرد بإمكان ثروته الوطنيّة، هل يحس هذا الفرد بأنه مستغل، وأثق بنفسه، ثري بقدراته المنتجة؟ أم أنّه شخص تابع، موظف، لا حيلة له، فقير، ولا يملك شيئاً، في مقابل «حكومته» التي تملك كل شيء؟

● **الثروة:** ما دامت طبيعية، البيست ملكاً للجميع؟ و«الجميع» هنا تشمل أهل اليوم وأهل الغد كذلك.

منذ اكتشاف النفط، وما أحدثه من فرق في المعادلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، اعتُبره ملكنا بوضوح، أم هو ملك الحكومة كما تقوله لنا ذواكرنا العاكسة للتكوين الجمعي؟ هل ثمة قيمة ذات وزن شعبي على الميدان لأطروحة «التوزيع العادل للثروة» في بلادنا؟ ألم يكنّ النفط، وما يزل ملكاً للحاكم الفرد ومؤسسته؟ ألم تتطور تلك المؤسسة (الحاكمة) في كل شيء، وبكل وسيلة، على المستوى الكمي والنوعي، وتتمدد رأسياً وأفقياً، لا لكي تبحث للإنسان عن خيارات أوسع للعيش بيقظة، ولا لتستثمر في العقول التي تُبدع معرفة وعلمًا وثقافة حرة تجدله بمساهمات بقية الأمم العاملة والمشتغلة على رفاه الإنسانية.. بل لتطور قدراتها وتراقب وتتندست على خصوصيات الإنسان الفرد، ولتحاصر الإنسان الجماعة في فضاءات مجاله العلم؟

● **الدولة:** ألا يُفترض أن تنشأ كنتيجة تعاقب اجتماعي بين بشر يُؤوضون بإرادتهم الحرة فرداً أو جماعة لتدبير شؤونهم العامة دون التدخل في حرياتهم الشخصية؟

ألم تُخزّل الدولة لدينا في مؤسسة تنفيذية، آمنة، رعوية؟ ألم يصيح هذا الجهاز المدعو «الدولة»، جهازاً مرعياً لا يحق للناس محاسبته، ولا نقده، ولا التفكير في تطويره. ألم تتمكن السلطة من قلب معايير الفهم لدى الناس، ففدوا الواجب فضلاً، وباتت الحقوق زيادات تتكرم بها السلطة على «رعايها»؟

سؤدد النائب - العراق «مصارعة الثروة»

من أين جاء خطاب المَن الذي يتبعه أذى إذا؟ من يروج له، ومن يشتغل عليه، ومن يشتغل به ليل نهار. من يقوم بزيادة كثافة خطاب كهذا كلما ذُكر (قلة) من أولئك الناس سلطاتهم بضرورة توفير حقوق الجميع الأساسية وتحسين أداؤها بكفاءة؟ وهنا لست متحدثاً عن حقوق سياسية ومدنية، أصبحت تُخبر التوتر وعواصف السلطة وأعاصير أجهزتها الإعلامية والأمنية، بل أعني بالتحديد الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، من تعليم وعمل وسكن وصحة



ما يجري من صراع للعصبويّات الصغيرة داخل إمارته؟ المزارع العُماني الذي كان يزرع محاصيله ويصدّرها للهند والبصرة وسواحل أفريقيا، ويعقد صفقاته في ما وراء البحار والمحيطات دون أن يلقي كثير اهتمام بأحوال حكومته المركزيّة، هل له وجود وأثر في راهن الحياة اليومية؟ العلاقة بين الناس اليوم في المنطقة لا تتصف بالعنوية ولا بالطبيعية. شبكة المصالح السلطوية هي التي تحدد ماهيتك، قيمتك، وبالتالي شكل المسار الذي سيمشيه كل فرد في محيطه الاجتماعي وتفاعلاته الإنسانية.

ابن الصياد العُماني، والحداد البحريني، والتاجر الكويتي، والراعي السعودي لا يشعرون بأنهم متساوون في الفرص، ولا في الخيارات مع نظرائهم الذين لأهلهم حظوة وقرب من السلطة السياسية وشركائها في المؤسسة الدينية والاجتماعية والأمنية.

التعليم تكفه الدولة، لكن الجودة فيه يتيمة. الخدمات الصحية توفرها الدولة، لكن أمانة تنفيذها بعيدة عن واقع الحال. وبالتالي فإن جميع الخدمات التي كان من المفترض أن تبسط للناس جميعاً، وبالمستوى والجودة نفسها، كالتعليم والطبابة والرعاية الاجتماعية.. كل ذلك لن يتوفر بالدرجة ذاتها، وإن توفرت فلن تكون لهم في الوقت ذاته.

الاستقلال الاقتصادي الذي كان يمارسه الفرد في المنطقة، في شكله البدائي على الأقل، من خلال المهن البسيطة التي تعتبر أساساً حقيقياً ومتجذراً من الأرض، وتابعاً من الطبقات العاملة فيها، رغم ضالّة عوائده، تم التنازل عنه في سبيل تمكّل الدولة (وهي فعلياً الحكومة). جميع عناصر الإنتاج تم تركّزها وتشغيلها واحتكارها من قِبَل الحكومة. ذهب الناس للمدارس والمعاهد الفنية والجامعات وأنحوا مستوياتهم التعليمية المختلفة (في الداخل والخارج) وانتظروا «مكرمات» توظفهم في وظائف غير منتجة، وغير متجددة، ولا تشكل قيمة مضافة، من الحكومة أيضاً. الكل ينتظر رواتب الحكومة، الجميع يشتغل عند الحكومة. لذلك لا يحق لأحد أن يشتغل الحكومة ولا أن يرزعها.

الجانب الآخر من الصورة: وفر النفط تراكمات هائلة للثروة، تضخمت على إثرها فجوة الإنفاق (بين المخطط له والفعلي). صرقت أموال طائلة على قطاعات غير منتجة، وعلى طبقات غير مبدعة. كل ذلك أدى ويسرعة إلى «برجوازية» حكومية، أنتجت بدورها اقتصاد «رأسمالية المحاسبين» القائم على الزواج المقدس بين التجار والمسؤولين في الحكومة، المستمر على المحاباة والفساد. هذا النوع من الاقتصاد نسل مع مرور الزمن أسراً مركزيّة مٌخلصة بعضها لبعض، احتكرت معاش الناس وحددت خياراتهم. هي من ينتظر الجميع أن توفر فرص العمل، هي من ترعى المشروعات الصغيرة وهي من تسحقها إن أرادت، هي من تتحكم بالأجور، وهي من تستخدم مؤسسات الدولة لتشريع القوانين والنظم التي تحفظ مصالحها لأقصى مدى.

علينا الاعتراف، أمام ذواتنا، أولاً بأن الخلل بنيوي هيكل في بنية النظام الاجتماعي والسياسي الذي سرنا إليه، وسكتنا عنه. ومن ثم في الهيكل الاقتصادي الذي تم تشييده على التبعيّة والمركزيّة وأحادية القرار، حتى اللحظة على الأقل.

وقبل البحث عن حلول لا تُحترم، ولا تُقدّر، وتذهب مع رياح الوفورات المالية ونشوة زيادة المضاربات على الأسعار التي لا تسند لها على الواقع، الأوجب أن نتعلم كيف نحفر في (وعن) الخلل بإشاعة ثقافة الأسئلة: أسئلة القيمة، وأسئلة الإنتاج، وأسئلة الإنسان.

في الأسئلة وحدها يكمن «النفط» الحقيقي، لا في عوائده المنبجّرة.

سعيد سلطان الهاشمي

باحث من عمّان

وكلهم ليس «توفّر» الحقوق هنا، بل «توافرها»، أي اتساعها ووفرتها، الذين يعيشون في ذاك الريف يحسبون أن الحرب قد خصّتهم بالحصة الأكبر من الدمار، إن قارنوا مناطقهم غيرها. لا يستهيئون بلقلمهم وما يستتبعه من أرق مضن وكأبة حتى وإن لم تصل بعد إلى ضفة المرض النفسي، لكنهم يطيبون التوتر بالاذعية القرآنية، وعدم الإنقطاع عن الصلاة، والكثيرون يصومون يوم الاثنين من كل اسبوع، والقليلون منهم يلجؤون إلى المهدئات أو المنومات. تلك الأزياف تخضع بمعظمها إلى سيطرة «جبهة النصر» و «جيش الفتح»، وهما قوتان تمثلان

قلقهم، لا على سلّم العلاج النفسي ولا على سلّم الدواء، ينتظرون معجزة، أو أن تكون حياتهم تلك مجرد كابوس عمره ليلة واحدة، وسببه عشاء ثقيل.

الحياة تحت البراميل المتفجرة

ينزل الخراب على أرياف حلب وإدلب من السماء، من براميل مشوشة بمواد متفجرة تسقطها طائرات النظام على الأرياف التي تُسيطر عليها المعارضة المسلحة. المدنيين الباقون هناك عالقون في قلقهم أيضاً، ليسوا أقل أرقاً من سواهم في مناطق أخرى تخضع لفعل الدمار اليومي، الطيران الروسي صار شريكاً جديداً في تخصيص

من الأصوات الباغثة، الأصوات المرتفعة غير المتوقعة، تلك التي تناسلت من يوميات القصف الجوي وبطش تنظيم تضيء لهم صوابية الضفة التي يقفون عليها، تجعلهم يزيلون، أيديولوجياً على الأقل، مكونات الضفة الأخرى. يصير «الأخر» جزءاً من خصوصتهم مع حياتهم العائرة، وأحياناً يصير كما لو أنه السبب في بلائهم، السوريون الباقون في بلادهم منقسمون أيضاً حول نصيبهم من حصص الدمار والموت اليومي، الجغرافيا حددها لهم، وبذلك يعيشون تابيناً في مقتنياتهم من خمار الخوف والقلق والاعتكاب والرهاب، حين تدون الحرب سيرتهم النفسية كمعتقلين في جوفها مدة خمس سنوات.

مطر دمشق من «العاون»

تسير الرؤوس تحت سماء دمشق على حافة قلقها، أو تصير في لجة القلق كلما تسرّبت من ثقوب جوفها قذيفة هاون قد تسقط على الرأس، أو قد تنفجر على قرية من القدمين، وهذا هلع لا ينقسم، موتاً لا يمكن تجزئته في كتلا الحالتين، ولا ضمير من تحسّن نوايا «جيش الإسلام» واستطلاع مزاجه كل صباح، فهذا يفيد إما في لجم المخاوف، أو في إطلاق عنانها قبل مغادرة المنزل إلى الشارع. «جيش الإسلام» يرسل مطره الخفيف من قذائف العاون بين الفينة والأخرى، لتتهلل فوق حظوظ المرة وتختبرها. الخوف من تعثر الرأس بقذيفة هاون يتكاثر في الأحياء القريبة من الفوطة الشرقية، المقل الرئيسي لذلك التنظيم، وأغلباً أحياء فخمة مثل النسائنة، والقضاع، والتجارة، والزبلطاني، ومحيط ساحة التحرير، وشارع بغداد، ودمشق القديمة.

يحضر القلق من سقوط قذيفة هاون في أي وقت، وفي أي مكان، بنسب متفاوتة، لكنه يصير جانباً من يوميات القاطنين في العاصمة، أحياناً يغيب، يندمل تحت بشرة الحياة الروتينية، فلا تلحظه منظومة السلوك الواعي للفرد، وأحياناً يحضر بكثافة يقينية حال تسقط قذيفة هاون واحدة، الكثيرون أصيبوا «بفوبيا العاون»، فصاروا يتقفلون الأماكن المكشوفة فلا يعبرونها، والبعض الآخر يعيش قلقاً متفاوت الشدة، لكنه ضروري كجرس إنذار داخلي يبقي الكائن متحفزاً لئلا يُفعل احتمال وقوعه في شرك الموت.

«الرقعة»: الخوف من جيتهين

يلاقى القلق عقول القاطنين في الرقعة السورية من طريقيين، من تنظيم «داعش» على الأرض، ومن طلعات طيران «التحالف الدولي»، والطيران الروسي في السماء. يُنسلون قلقهم من بين جلودهم كل يوم، كأنهم يقتلعون أطراف شظئية لا تفارق لحمهم. يصف من يعيش هناك القلق ب «الرضي»، يصل حيناً إلى درجة الرهاب



حسان مناصرة - الأردن

أيمن الشوافي

صحافي من سوريا

22 مليون دولار عوائد سنوية لشركة G4S من العقود الموقعة مع الأمم المتحدة. الشركة تزود إسرائيل بمعدات تُستخدم في تعذيب الأسرى الفلسطينيين. وقد طالبت 200 منظمة فلسطينية ودولية الأمم المتحدة بوقف التعامل معها.

فاطمة المريني: صوت فريد يُسمع أصوات كل النساء

منذ أيام ودعتنا الباحثة والمفكفة المغربية فاطمة المريني عن 75 عاماً، بعد معاناة مع المرض حرصت ألا يعلم أحد بها. في عمق مدينة فاس العريقة، رأت فاطمة النور في وسط استقرائي محافظ، شكل خزاناً لها، أنتت ذاكرتها وخيالها، وجعلها تختار موضوعاً مركزياً لأبحاثها في ما بعد: قضية المرأة، والعلاقات بين الجنسين في مجتمع تقليدي قائم على تقسيم جنسي للأدوار والفضاءات.

كانت المريني من بين أولى النساء المغربيات العودات على الأصابع اللائي خضن غمار البحث العلمي والأكاديمي في مجال السوسولوجيا، فحصلت سنة 1974 على شهادة الدكتوراه من جامعة أميركية، ابتدأت رحلتها العلمية أولاً بالعاصمة الفرنسية لتنتقل في ما بعد إلى أميركا، الأمر الذي يمكن اعتباره في حد ذاته عنوان شجاعة وقوة نادرتين حينها وسط النساء. السفر، الرحلة العلمية، التنقل، عناوين على تحولات مست والمجتمع وأثرت في المكانة التي أصبحت النساء تحتلها. من رائدات، أولئك اللواتي سمحت لهن ظروفهن العامة وشروطهن الخاصة بإقحام «المجال»، والسعي إلى تحقيق طموحاتهن. فاطمة المريني لم تتميز فقط لكونها نجحت في الاشتغال الأكاديمي على قضايا في صميم المجتمع، بل لكونها استطاعت أن تجسد في ذاتها نموذجاً المرأة إذاً كمرکز اهتمام وكوضوع لفاطمة الباحثة شكل امتداداً طبيعياً لفاطمة المرأة.

نشرت سنة 1982 أطروحتها باسم مستعار (فاطمة أيت الصباح) وبعنوان «المرأة في اللاوعي الإسلامي»، والتي التحقت كاستاذة في كلية الآداب بالرباط، وانخرطت في مشروع فكري كانت حصيلته ما يزيد عن عشرين كتاباً، ترجم البعض منها إلى 25 لغة.

هي والمشروع الفكري النسائي

تقلقت المريني بين أبحاث ذات طابع سوسولوجي ميداني («نساء المغرب» على سبيل المثال)، وأعمال اتخذت الطابع السردي («المغرب من خلال حكي نسائه» 1983)، ونصوص بيوغرافية («نساء على أجنحة الحلم» 1998) إلى أعمال اشغلت فيها على التراث الديني («الحريم السياسي: النبي والنساء» 1987)، وأخرى وظفت لها المنهجية التاريخية («سلطانات منسيات: نساء رئيسات دولة في الإسلام» 1990). حصيلة مكتبها من تجاوز اسمها لحدود الوطن واستحقت عليه الجوائز. وصار اسمها يستحضر المغرب أينما نُظف.

سعت إلى فهم وتحليل المكانة التي اختارها المجتمع للمرأة، وإلى اكتساب المعرفة حولها، فكانت طريقتها للنضال من أجل وضع أفضل للنساء المغربيات، عربيات وأمازيغيات، ولكل من يعيش في سياقات عربية

حلم.. / سعاد مردم بك / سوريا



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- في حضرة الشيخ إمام - رندا شعث
- في سوريا: مجلس أولياء الأمور والدور المفقود - موسى بيطار
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

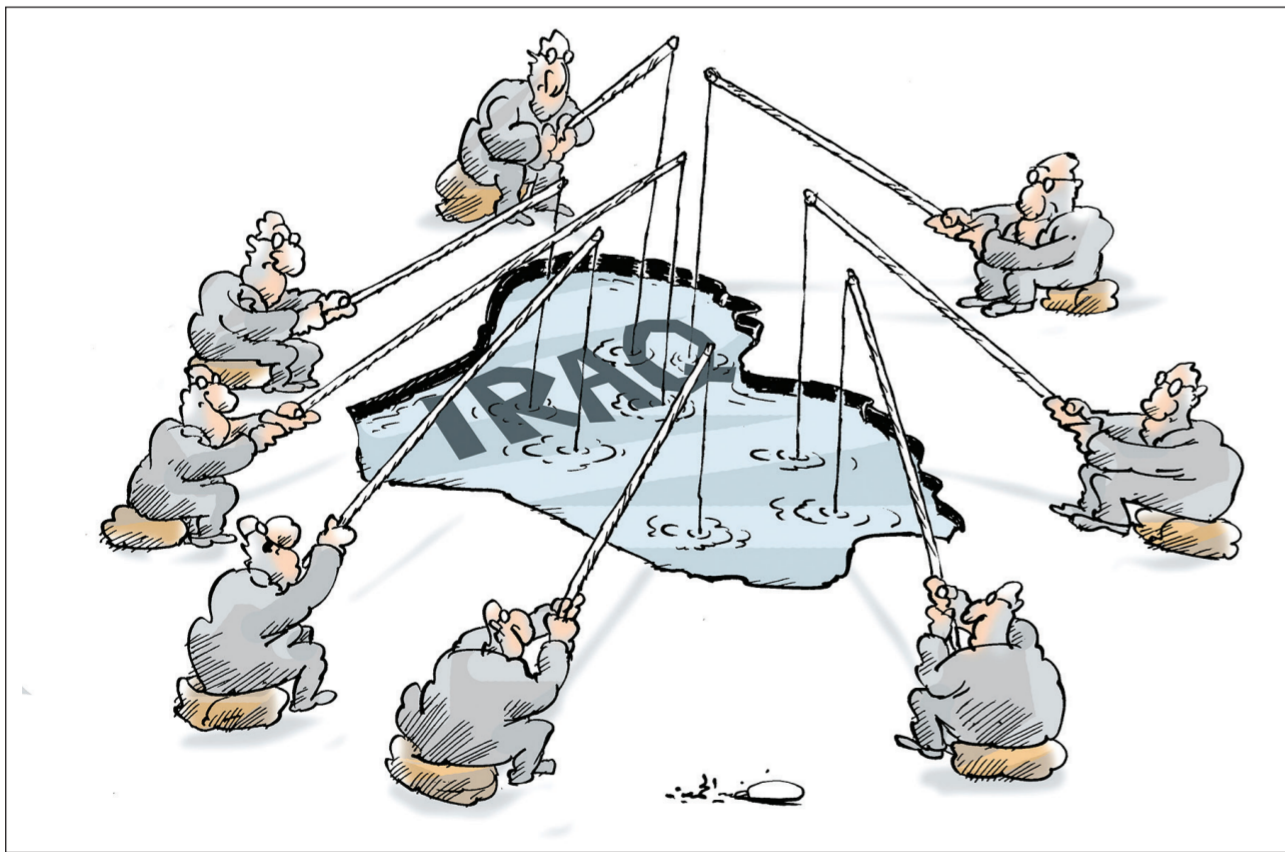
المثقف في المدينة

ظلت فاطمة المريني باحثة في مجال السوسولوجيا مهووسة باليدان، وهو ما جعلها تتركس جزءاً من وقتها للإشراف على تنظيم قوافل للانتقال إلى المغرب العميق: «القوافل المدنية»، حيث كان يتم اللقاء مع عدد من النساء اللائي لا تسمح لهن ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية بمغادرة قراهن. نساء لم تسمح لهن شروطهن باكتساب المعرفة فعبّرن بأسلوب مختلف، بملكات وقدرات غير القلم والكتابة، ليخلدن مسار حياتهن من خلال الرسم على «الزراي» (البسط والسجاد) التي ينسجها للحفاظ على إرث ثقافي ضارب بجذوره في عمق الذاكرة النسائية المغربية. سعت المريني إلى تقديم الدعم لهؤلاء النساء من خلال التعريف بإبداعهن، ولضمان فرص بيع منتجاتهن وبيع قوتهن اليومي مقابل الجهود التي يبذلنها، خصوصاً أنهن كن مقصيات من التسويق. وأشرفت كذلك على عدد من ورشات الكتابة بهاجس الحفاظ على الذاكرة.. ذاكرة عدد من الناس ومن الفاعلين في حقول مختلفة ممن لم يفكروا في كتابة تجاربهم. فكانت النتيجة إنتاج ونشر عدد من الكتب التي تحكي تجارب حياتية بل ونضالية مختلفة لمن كان لهم/ن إسهام في بناء مغرب ما بعد الاستقلال (1956). وساهمت بهذه الطريقة بالانتقال من تقاليد الشفوي إلى الكتابي، هي التي كانت شديدة الوعي بأهمية الحفاظ على الذاكرة ونقلها إلى الأجيال المقبلة.

لطيفة البوحسيني

أستاذة جامعية مختصة بقضايا النساء، من المغرب

العراق



رسم خضير الحميري - العراق (خاص بـ «السفير العربي»)



.. بألف كلمة

ما هي أهم وظائف الإعلام في تناوله للخطر الإرهابي؟

بعد كل عملية إرهابية، تتمثل الوظيفة الأساسية للإعلام (بخبرائه وتحليله ونقايبيه الأثمين وقطاع طرق المواطنة) في ما يلي:

- 1 - تخفيف الضغط على «نداء تونس» ومنع مساءلته عن أدائه الكارثي سياسياً واقتصادياً وأمنياً، وهو ما يستدعي بالضرورة شيطنة لمرحلة الترويك (وكان تاريخ تونس يبدأ منها أو كأن الثورة قامت ضد «النهضة» لا ضد صانع الصاديق والمرتقة)، ويستدعي هذا الأمر مزيداً من التطبيع مع المنظومة القديمة عبر السعي الدؤوب إلى تبييض رموزها والتحسر على «منطقها» والدعوة إلى الوحدة الوطنية لمحاربة الإرهاب، لكن مع إقصاء الإسلاميين واستهدافهم بدون أي تمييز.
- 2 - تقليص حظوظ «النهضة» من الاستفادة من انشاقات «النداء» على المدى القريب (تقليص حظوظها في المزيد من الحقائق بعد التحويرات الوزارية المرتقية) والمدى المتوسط (تقليص حظوظها في الانتخابات البلدية ومنع أي تفكير في قوائم مشتركة بينها وبين «النداء») والمدى البعيد (تقليص حظوظ مرشحها في الانتخابات التشريعية والرئاسية، تلك الاستحقاقات الانتخابية التي يتحكم فيها عزرائيل أساساً ومن بعده الاستثمار السياسي في «الخطر الإرهابي» الحقيقي أو التخيلي).

من صفحة عادل بن عبد الله (فايسبوك)

اطمئنان شديد

ولما عرفت أن مصر كلها على بعضها فيها لجنة واحدة بس «الأمن القومي» وإجراءات السلامة، مكونة من 30 عضو بينهم 30 وزارة آخر اجتماع ليهم كان سنة 1981، وآخر تجربة عملية عملوها كانت في معمل كلية العلوم جامعة الأزرق. وكانت الدورة عبارة عن «كيف ترتدي القناع الواقي من الإشعاعات بطريقة سليمة واحترافية بعد حدوث الانفجار». أيون بعد حدوث الانفجار. فأننا الحقيقة إطمئنت جدا على مستقبل البلد دي. ولما عرفت إن مساعد وزير الداخلية يقول إن خلاص الدولة بصدد بناء سجون جديدة لتخفيف تكديس المساجين. اطمئنت جدا على مستقبل الشباب ومبادرة الرئيس لإحتوائهم.

وبعدين عرفت إن تم فض مظاهرات حملة الماجستير والدكتوراه اللي بيطالبوا بشغل. وقبضوا على 80 منهم وفي اتجاه إن بعضهم هيتحاكم عسكرياً، اطمئنت جدا على مستقبل العلم والعلماء.

مدام مادلين طبر بقي. لبست مايو فوشيا من 3 قطع. ونشرت 12 صورة ليها دعما للسياحة وترويجاً للبيوتوكس ودكتور الشد اللي وصلها للفترة دي. فاطمئن قلبي على السياحة.

الهم انا عايز أقولكم إن محمد محي عامل اليوم جديد ومسميه «الخوف من إيلي جاي»

من صفحة Mahmoud Mohamed Hegazy (فايسبوك)

مدونات

السخرية

نعم إنها السخرية أو أشوعير حسب تعبيرك، إذا كان تعليقك على منشور يتعلق بمساعدة دولة الصين لآفريقيا وليس لدولة، بل لفارة كاملة حوالي 52 دولة، وإذا كان قادة قارتنا يطيرون ليجتمعوا برئيس دولة يطلبون المساعدة، نعم إنها السخرية إذا كانت فارة إفريقيا تمتلك أهم ثروات العالم من الماس والذهب وأنواع الحجارة الكريمة والنفط والغاز والثروة السمكية والحيوانية والحديد... فارة تمتلك كل هذه الثروات وحلم شبابها الهجرة إلى القارات الأخرى، بل نشاهدهم يموتون في القوارب وعلى شواطئ البحر. نعم إنها السخرية إذا كانت وسائل إعلامنا الرسمية وحكوماتنا تستبشر بسبب انضمامها إلى قوائم الدول الأكثر فقراً في العالم، إذا كان عضو في الحكومة اليابانية في التسعينيات يستغرب كيف أن دولة موريتانيا ضمن لأئحة الدول التي ستقدم لها اليابان مساعدات ويقول: كيف لدولة تناول سمسكا في وجباتنا الرئيسية اليومية هنا في طوكيو أن تكون بحاجة للمساعدة، نعم إنها السخرية إذا علمت بأن الصحافة الساخرة والأعمال الفنية الساخرة مثل الكاريكاتير والمسرحيات الساخرة أكثر إزعاجاً للحكومات في العالم من الصحافة العالدية.

من صفحة Ahmedou Ould Ahmed (فايسبوك)